﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: 6]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

إصـــلاحُ بيـتِ الـقُـدوة مُـقَـدَّمٌ عـــلى إصـــلاحِ بيوتِ الأُمَّة

لمّا كانت الآياتُ السّابقةُ قد تناولت ما وقَعَ في بيت النُّبوَّةِ مِن عتابٍ لطيفٍ، وموعظةٍ رفيقةٍ لأُمَّهاتِ المؤمنين - ﷺ - على ما بدا مِن تقصيرٍ أو مُنافرةٍ؛ دلَّ ذلك على أنَّ النَّفْسَ البَشَريَّة، وإن عَلَت مراتبُها، وشرُفت منزلتها، لا تبرأُ مِن العوارض التي تكدِّر صفوَها، فتفتقر إلى التَّذكير والمراجعة، ليعود إليها صفاؤها وإشراقها، فإذا كان هذا في أزكى البيوت - بيت النُّبوَّة - فكيف بما يقع في سائر بيوت المؤمنين؛ حيثُ الضَّعفُ أظهَرُ، والغفلةُ أرجَى؟ ولهذا ناسبَ أن تُتبع تلك الموعظة الخاصَّة، بموعظةٍ عامَّةٍ، تَشمَلُ جماعة المؤمنين، فتوجَّه الخطابُ إلى عمومهم بالأمر بحفظ النَّفس والأهل مِن موارد الهلكة، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾، فأعقبَ سُبحانه ببيان ما يجبُ على مَن أنعمَ الله عليه بنعمة الإيمان، مِن لزوم شُروطه[1].

كما وُجِّه الخطابُ إلى المؤمنين بعد خطاب النَّبيِّ ﷺ وأهلِ بيته؛ ليأتسوا به ﷺ في مقام الموعظة، فلا يجدوا في توجيه النُّصح إلى أهليهم حَرَجًا؛ إذ قد سُبِقوا إلى ذلك في بيت النُّبوَّة نفسه، فكان في ذلك تسليةٌ لهم، وتأسٍّ بمقام المصطفى، وتشجيعٌ على القيام بواجب الإصلاح والتَّقويم في دوائرهم الخاصَّة، كما فعل رسولُ الله ﷺ في بيته الشَّريف[2].

(1) النّسفي، التّيسير في التّفسير: 14/ 489، وأبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 212، والخطيب، التّفسير القرآني: 14/ 1031، وعبد الملك قاسم، عقد الجمان: 1/ 1208.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 365.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿قُوٓاْ﴾: (وقي) أصلٌ يَدُلُّ على دفْع شيءٍ عن شيءٍ بغيره، والوقاية: ما يقي الشَّيء، أو: حفظُ الشَّيء ممّا يؤذيه، ويَضرُّه؛ باتِّخاذ حاجزٍ دونه، يُقال: وقاهُ يَقيهِ وقايةً: حَفِظَه، وصانَهُ، ومَنَعَه مِنَ الضَّرَرِ والأذى، واتَّقى الشَّيء: جعل بينه وبينه وقاية[1]، والتَّقْوَى: جَعْلُ النَّفس في وِقايَةٍ مِمّا يُخاف، ثُمَّ صارتِ التَّقْوَى في تعارُف الشَّرع: حِفظ النَّفسِ عَمّا يؤثم، وذلك بتركِ المحظور[2]، والمعنى هُنا: احفَظوا أنفسَكُم مِن العذاب بتركِ المعاصي[3].

2) ﴿وَقُودُهَا﴾: (وقد) أصلٌ يَدُلُّ على اشتعال نارٍ[4]، والوَقودُ بفتح الواو: ما توقَدُ به النّارُ مِن حَطبٍ وغَيْرِه، والوُقودُ: بالضَّم مصدرٌ بمعنى التَّوقُّدِ والاتِّقادِ[5]، ومعنى (الوَقود) هنا: ما يُطرَح في النّار؛ لتتَّقِدَ، وتلتهِبَ، وتشتَعِلَ[6].

3) ﴿غِلَاظٌ﴾: (غلظ) أصلٌ يَدُلُّ على عِظَمِ الجِرْمِ وتَجَسُّمِه معَ صَلابَةٍ، ويدلُّ لازِمُهُ علَى الشِّدَّةِ والقوَّةِ[7]، فالغِلظَة: ضِدُّ الرِّقَّة، ويُقال: غِلظةٌ وغُلظةٌ، وغَلُظَ الرَّجُلُ؛ إذا اشتَدَّ، فهو غَليظٌ، وفيهِ غِلْظَةٌ، أي: شِدَّةٌ واستِطالَةٌ، فهو غَيْرُ لَيِّنٍ ولا سَلِسٍ[8]، فأصلُه أن يُستعملَ في الأجسام لكن قد يُستعارُ للمعاني، والغِلظَةُ: الخُشونة[9]، وغِلَظُ القلب: عبارةٌ عَن قِلَّةِ الرَّحمة، وبإزائه رِقَّةُ القَلب[10]، والغِلظَة: الشِّدَّةُ البالغة مَعَ الحِدَّة[11]، والمعنى هنا: قُساةٌ في أخذِهم أهلَ النّار[12].

4) ﴿شِدَادٌ﴾: (شدد) أصلٌ يَدُلُّ عَلَى قوَّةٍ في الشَّيءِ، يُقال: شَدَدْتُ العَقْدَ شَدًّا، أي:

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (وقى).
(2) الرّاغب، المفردات: (وقي).
(3) إسماعيل حقي، روح البيان: 58/ 10، والهرري، حدائق الرّوح والرّيحان: 29/ 472.
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (وقد).
(5) الجوهريّ، الصّحاح: (وقد).
(6) الباليساني، حسن البيان: 6/ 2579.
(7) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (غلظ).
(8) ابن منظور، لسان العرب: (غلظ).
(9) الرّاغب، المفردات: (غلظ).
(10) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 3/ 949.
(11) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (غلظ).
(12) الطّنطاوي، التّفسير الوسيط: 14/ 477، وجمال، التفسير الفريد: 8/ 3137.

قَوَّيْتُهُ[1]، والشَّدُّ: التَّقوية[2]، يُقال: شَدَّ الشَّيءَ يَشُدُّه شَدًّا: أوثَقَه، وقوّاه[3]، والشِّدَّةُ: الصَّلابة، وهي ضِدُّ اللّين[4]، يُقال: حَجَرٌ شَديدٌ، أي: صُلْبٌ[5]، وتأتي بِمعنى الإسراعِ، فيُقال: شَدَّ في العَدوِ واشتَدَّ شَدًّا؛ إذا أسرَعَ[6]، والمعنى هُنا: أقوياءُ في معاملة أهلِ النّار الذين وُكِّلوا بهم[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الأمـرُ بـوِقـايـة الأنفُس والأهلِ مِـن نـارٍ عظيمةٍ عليها ملائكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ

توجِّه الآية الكريمةُ نداءً للمؤمنين، تأمرُهم بأن ينهَضوا بما أوجبَهُ الله عليهم مِن رعايةِ أنفُسِهم، بأن يَجعلوا بين أنفُسِهم وأهليهم وبين النّارِ حاجزًا يَقيهم منها؛ بتَعليم أنفُسِهم العِلمَ النّافِعَ، وقيامِهم بالعَمَلِ الصّالحِ، وتعليم أهليهم وتأديبِهم، ثُمَّ وصَف النّار التي أُمروا بالاتِّقاء منها، بأنَّها نارٌ موقَدةٌ وقودُها النّاسُ والحجارة، قد أُنيطَ أمرُها بملائكةٍ، قُساةٍ في أخذِهم أهلَ النّار، لا تأخذُهُم بالمُعذَّبين رَأفَةٌ، أقوياءُ لا يُخالِفونَ أمْرَ اللّهِ، ويَفعَلونَ ما يُؤمَرونَ بفِعْلِه[8].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ النِّداء بحرف (يا):

تعظيمُ النِّداء والإشـارةُ إلى عَظَمةِ المضمون

افتُتحت الآيةُ الكريمةُ الخِطابَ بِنداءٍ عَظيمِ الشَّأنِ، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وفي افتتاحِه بالنِّداء دلالةٌ على أهَمِّيَّةِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شد).
(2) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (شدد).
(3) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (شدد).
(4) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (شدد).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (شد).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (شد).
(7) الثّعلبي، الكشف والبيان: 9/ 349، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 366.
(8) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 103، والسّمرقندي، تفسير السّمرقندي: 3/ 469، وابن عطيّة، المحرر الوجيز: 5/ 333، والسّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 874.

المضمون، وتنبيهٌ للسّامع أن يُصغيَ لِما يَلي مِن الأمر، وقد خُصَّ النِّداءُ بحرف (يا)؛ لما فيه مِن الإشارة إلى نوعِ بُعدٍ، إمّا حقيقيٌّ وإمّا حُكميٌّ؛ لإشعار المُنادَى بأنَّه قَد قَصَّر، أو غَفَل عَن بَعضِ ما يجبُ عليه، فجاء النِّداءُ؛ لينبِّهه، ويستنهِضَه، ويُقرِّبه مِن طاعةِ رَبِّه[1].

غَرَضُ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصول:

التَّنويهُ بِصِفَةِ الإيمانِ وأثَرُها في إحياءِ المطلوبِ بالنِّداء

في تعريفِ المنادَى بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ تنويهٌ بِشَأنِهم، وتنبيهٌ على أنَّ أوثَقَ ما يُعرَفون به، وأشرَفَ ما يُنعَتون به هو الإيمانُ؛ إذ هو حِليَةُ القلوب، ووِسامُ النُّفوس، وغايةُ ما يُتفاخر به في الدُّنيا والآخرة، فكأنَّما قيل: (يا مَن شَرَّفَكُم اللّه بزينةِ الإيمان، وتَمَيَّزتُم عَن غيركم بهذه الصِّفة العليَّة، الزَموا ما يَليقُ بها، وحقِّقوا مُقتضاها، فإنَّ مَن وُصِفَ بشَيءٍ، حُقَّ عليه أن يتحلَّى بحقيقتِه، ويُريَ اللّهَ مِن نَفسِه صِدقَ الصِّلة، وذلك لا يكونُ إلّا بالقيام بما سيَأتي مِن أمرٍ بالخير ونهيٍ عَن الشَّرِّ، والحرصِ على تزكيةِ النَّفسِ والأهلِ؛ ليكونَ الإيمانُ ظاهرًا في القول والعمل)[2].

نُكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ الماضي:

الإيمانُ قاعدةُ العملِ والاستجابةِ لأمرِ اللهِ ونَهيِه وتحذيرِه

جاء التَّعبيرُ بصيغةِ الماضي ﴿ءَامَنُواْ﴾، في قولِه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ ليَدُلَّ على أنَّ الإيمانَ قد تَحقَّق فيهم، وثَبَت، وأنَّهم أهلٌ للنِّداء، وما تضمَّنه مِن الأمرِ والتَّحذير؛ فالإيمانُ وصفٌ راسخٌ فيهم، يُبنى عليه التَّكليفُ، وتُناطُ به الأوامِرُ والنَّواهي، فكأنَّ اللّهَ تعالى يقولُ لهم: (أنتم الذين صدَّقتم، وآمنتم فيما مضى، فاثبتوا على ما آمنتم به، وحقِّقوا لوازِمَه في واقِعِكم، ومنه القيامُ بِأمرِ أنفُسِكم وأهليكم).

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 365، والجزائري، أيسر التّفاسير: 5/ 387.

(2) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه: 10/ 18، وصبحي المليجي، من أسرار النّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 2152/ 3 - 2153.

دلالةُ صيغة الأمر ﴿قُوٓاْ﴾:

في توجيهِ الأمرِ ﴿قُوٓاْ﴾، في قولِه تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ ما يدلُّ بصيغة الفعل ومادَّته على قوَّة الأمر وعُلوِّ الخَطبِ، وتبعَثُ في النَّفس رَهبةَ المأمور به، وعِظَم التَّبِعَة المُترَتِّبَة على التَّفريط فيه؛ إذ ليس الأمر بوقاية النَّفسِ والأهلِ - مِن نارٍ وقودُها النّاسُ والحجارةُ - مِن شأنٍ يُتهاوَن به، بل هو مِن آكدِ ما يجبُ على المؤمن أن يستجمِعَ له عَزْمَ القلب، وحَزْمَ الجوارح، ثُمَّ إنَّ التَّعبير بهذا الفعل يُشعِر بوجوب المُبادرةِ والمسارعة، ويوقِظُ القلوبَ إلى خُطورةِ العاقبة؛ إنْ فُرِّط في هذا الواجبِ الجليل[1].

الإشعارُ بوجوب المُبادرة والمُسارعة، وإيقاظُ القلوب إلى خطورة العاقبة

غَرَضُ تقديم النَّفس على الأهل:

قُدِّم ذِكرُ النَّفسِ على الأهلِ في قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾؛ لِما جُبِلَ عليه الإنسانُ مِن تقديم نَفسِه فيما يُحذَر، وحِرصِه على نجاتها قبل غيرها، فناسبَ أن يُبتدأ بها في مقام الوقاية، كما أنَّ تزكية المرء لِنَفسِه، وموعظتَه لها، أبلغُ في أثرِه؛ إذا أرادَ أن يعِظَ غيرَهُ، فإنَّ مَن قرَنَ عملَهُ بكلامِه؛ كان أدعَى للقبول، وأيضًا فإنَّ صَلاحَ القائمِ على البيت أساسٌ في صَلاحِ أهلِه، فإذا استقامَ؛ استقامَت به أحوالُ مَن تحت كنَفِه[2].

لا خَيرَ في واعظٍ غفلت نفسُه عَن وعظِ لسانه

دلالةُ عطفِ الأهلينَ على الأنفُس:

عُطِفَ الأهلُ على النَّفس في قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾، بواوٍ تُفيدُ المُصاحَبةَ والتَّشريكَ في الحُكم؛ إيذانًا بأنَّ وقايةَ النَّفس لا تنفكُّ عن وقايةِ الأهل، وأنَّ العاقلَ لا يَخلصُ بِنفْسِه، ويَذرُ من يليه، بل يَسعى في نَجاتِهم سَعيَه في خلاصِهِ، ويجتهدُ

الإيذانُ بأنَّ وقايةَ النَّفس لا تَنفكُّ عن وقايةِ الأهل

(1) الرّسعني، رموز الكنوز: 8/ 188.

(2) القونوي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 19/ 162، والحجازي، التّفسير الواضح: 3/ 704، وصبحي المليجي، من أسرار النّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 1532.

في وعظِهم كاجتهادِه في صَلاحِ أمرِه، حتَّى كأنَّ النَّفسَ وأهلَها في الاتِّعاظِ والنَّجاةِ كالجسدِ وأطرافِه، يُصيبُها الخيرُ دفعةً واحدةً، وتَعمُّها الرَّحمة في وقتٍ مُتقاربٍ لا تَفاوُتَ فيه، بل هُما في الخَطَر شُركاء، وفي النَّجاةِ سواءٌ[1].

توجيهُ تخصيص الأهلِ بالذِّكر:

الأقربون أولى بالمعروف، وأحقُّ بالمُبادرة إلى التَّذكير

خَصَّ النَّظمُ الكريمُ الأهلَ بالنُّصح، في قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾، مع اشتراك الأجانب في حُكم الموعظة؛ لما تقرَّر في الأذهان مِن أنَّ الأقربين أولَى بالمعروف، وأحقُّ بالمُبادرة إلى التَّذكير؛ إذْ رابطةُ القَرابَةِ توجبُ مزيدَ العناية، ووشائجُ النَّسَبِ تُقَدِّمهم في سُلَّم الإصلاح، وهذا ونظائِرُه في القرآن الكريم كثيرٌ، مِنه قولُه تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء: 214]، فبدأ بالأقرَب فالأقرَب؛ لِما لَهُم مِن الحظِّ في القُرب والمُخالطة.

ثُمَّ إنَّ شروطَ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر قد تتعذَّرُ في شأنِ الأجانب، فلا يُستطاعُ النَّفاذُ إليهم، بخلافِ الأهل، فإنَّ للرَّجل فيهم سُلطانًا، ولسانُه فيهم أمضَى، وسُبُل النُّصح إليهم أيسَر، فَهُم أولى النّاس بوَعظِه، وأجدَرُهم بنُصحِه، فإنَّ فيهِم صلاحَ بَيتِه، وفي صلاحِهم صلاح أمرِه[2].

بلاغةُ المجاز في مفردة ﴿قُوٓاْ﴾:

ذِكرُ نتائج العمل مِن موجباتِ التَّرغيب فيه والتَّرهيب مِن تركِه

خاطَبَ النَّظمُ الكريمُ أربابَ الحِجى مِن المؤمنين، فقال تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾، وهو أمرٌ قد انطوى على عظيم الموعظة؛ إذ وُجِّه الخطابُ إلى ذوي الولاية مِن أهل الإيمان، أن يكونوا حُجُبًا بين أهليهم وبين لظى الجحيم، وقد جاء فعل ﴿قُوٓاْ﴾

(1) ابن العربي، أحكام القرآن: 4/ 1851، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 194، وأبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 212.

(2) إسماعيل حقي، روح البيان: 58/ 10.

مجازًا مُرسلًا، علاقته السَّببيَّة؛ إذ أُطلق المُسَبَّب (الوقاية)، وأُريدَ به السَّبب (الموعظة والتَّوجيه)؛ لأنَّ هذه الأسباب هي التي تُفضي - بإذن الله - إلى السَّلامة مِن النّار، باعتبار أنَّ الموعظة وما يَتبعُها مِن هدي واستقامَةٍ سببُ الوقايةِ مِن النّار، وفيه مِن الحثِّ على الأخذِ بالأسباب الموصلَةِ إلى النَّجاة ما فيه.

ويحتملُ أن يكون المجازُ استعارةً تصريحيَّة، شُبِّهَت الموعظةُ والتَّقوى والعملُ الصّالح، وكُلُّ ما يُفضي إلى النَّجاة، بالحاجبِ المانع، والوقايةِ الحسّيَّةِ الحائلةِ بَينَ الإنسان ومَهلَكَته، فجعلها كأنَّها درعٌ مانع، أو جدارٌ واقٍ، يَحولُ بين الإنسان وبَينَ عذاب السَّعير؛ مُبالغةً في بيانِ أثرِها، وتصويرًا لعَظيم وقعِها، وهو ممّا يُهيِّجُ السّامع، ويَستميلُ النَّفسَ إلى ما يُرضي ربَّها[1].

غَرَضُ تنكير لفظ ﴿نَارًا﴾:

تعظيمُ النّار وتهويلُها، وبيانُ شِدَّة حرِّها وفظاعةِ أمرِها

نُكِّر لَفظُ ﴿نَارًا﴾ في قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ في سياق التَّهديد؛ للتَّعظيم والتَّهويل؛ ليدلَّ بذلك على فظاعةِ الشَّأن، وهَولِ الخَطب؛ فهي نارٌ لا يَعلم مقدارَ حَرِّها إلّا اللهُ، ولا يُقدِّرُ مِقدارَ سَعيرِها إلّا هو، فالتَّنكيرُ في مقام الوعيد يدلُّ على الشِّدَّة والفظاعة؛ إيذانًا بأنَّها نارٌ خارِجَةٌ عن المألوف، مُفزِعَةٌ في أوصافِها، مُستَعِرَةٌ في لهيبها، عظيمةٌ في أثَرِها[2].

بلاغة استعمالِ مُفردة الوقود:

تحذيرُ النّاس أن يكونوا سببَ استمرار النّار

آثرَ النَّظمُ الكريمُ استعمالَ مفردة ﴿وَقُودُهَا﴾، في قوله تعالى: ﴿نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾، وهو ما تُسعَّر به النّار، وتُلَهَّب، وأصْلُه ما يُجعل فيها لإذكاءِ لهيبِها وإشعالِ سَعيرها، وهو سرُّ بقائها وثباتها؛

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 365، والصّابوني، الإبداع البياني: 1/ 358، والزّحيلي، التّفسير المنير: 28/ 314.

(2) القنوجي، فتح البيان: 14/ 216، والطنطاوي، التفسير الوسيط: 14/ 476، والجزائري، أيسر التّفاسير: 5/ 387.

ففيه تهويلٌ لشأنِ اشتعالها، واستمرارِ نارِها، فإذا عَلِم النّاسُ أنَّهم الوقود؛ دَفَعَهم ذلك للاتِّقاء، والابتعادِ عن أسباب دخولِها.

دلالةُ إضافةِ الضَّمير إلى النّار:

نارُ الآخرة هَولٌ عظيمٌ، وسَعيرٌ مُقيمٌ، وعَذابٌ لا يُطاق

أُضيفَ لفظُ (الوقود) إلى ضمير النّار في قوله تعالى: ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾، على وجهٍ فيه إيماءٌ بَليغٌ وإشارةٌ عجيبةٌ، تُنبِئُ عَن هَول هذه النّار وشِدَّةِ اشتِعالها، فإنَّها نارٌ ليست كسائر النّيران؛ إذْ نيرانُ الدُّنيا لا تُلهَب إلّا بوَقودٍ يُعَدُّ لَها، مِن حَطَبٍ أو نَفطٍ أو ما شابَهَهُ، وأمّا نارُ جَهَنَّم - أعاذنا اللّه منها - فإنَّما تَتَّقِد بما يُلقَى فيها مِن النّاس والحجارة، فهي توقدُ بنفس ما تُحرِقُ، ولا تحتاج إلى وقودٍ سابقٍ على ما يُلقى فيها، وهذا مِن دلائلِ عظيمِ اشتعالها وشِدَّة سَعيرِها، فَوقودها ليس شيئًا يُجلَب مِن خارجها، بل هو عَيْنُ ما تُنزل عليه مِن العذاب، ثُمَّ إنَّ الحجارة مِن أشَدِّ ما يحتمل النّار، ومع ذلك فإنَّ هذه النّار العاتية تتَّقد بها، فلا تُبقي فيها جمادًا ولا عاقلًا إلّا أحرَقت لُبَّه، ولا عَجَب، فإنَّها نارٌ أعَدَّها الجَبّار، وقودُها مَن عَصاهُ، لا تنطفئ، ولا تَهدَأُ، ولا يُرجَى لها خُمود[1].

غَرَضُ تعريف المُسند ﴿ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾:

التَّهويلُ البالغُ والتَّخويفُ الشَّديدُ من نارٍ وقودُها النّاس والحجارة

تعريفُ المُسنَد في قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾، جاء لأجل تمكينِ المعنى في ذِهن المُخاطَب وتقريرِه في نَفسِه، ودَفعِ ما قد يُساوِرُه مِن غَفلَةٍ أو تَقصيرٍ، وقد تَحَقَّق هذا المعنى مِن وجهَين:

أوَّلُهما: نفيُ أن تكون نارُ جهنَّم كغيرها مِن نيران الدُّنيا، توقَد بالحطب ونحوه، بل وقودُها ذاتُه هو ما يُلقى فيها؛ فالنّاس المُشرِكون هُم مادَّتها، فبها يشتعلُ سَعيرها[2].

(1) التفسير القرآني للقرآن: 14/ 1032، والطنطاوي، التفسير الوسيط: 14/ 476، والهرري، حدائق الرّوح والرّيحان: 29/ 472.

(2) الطّنطاوي، التّفسير الوسيط: 14/ 476.

وثانيهما: إثباتُ أنَّ الحجارة - مع ما فيها من الصَّلابة والمُمانعة - تتَّقدُ بها تلك النّار لعظيم حرارتها وقوَّة لهيبها، مِمّا يدلُّ على شِدَّتها وهَولِ عَذابها، وفي مجموع ذلك تهويلٌ بالغٌ وتخويفٌ شديدٌ، يُؤَدّيان إلى ترسيخ الغَرَضِ الوعظيِّ، وتنبيهِ القلوب إلى خُطورةِ التَّقصير في وقايةِ النَّفسِ والأهلِ من نارٍ هذا وقودُها[1].

نُكتَةُ قَرنِ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ بالحجارة في الذِّكر:

اجتماعُ النّاسِ والحجارةِ في القَسوةِ والإهانةِ تهويلٌ للموقف وتعظيمٌ للعذاب

عَطْفُ (الحجارة) على ﴿ٱلنَّاسُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾، تعظيمٌ لشأن العذاب وتغليظٌ للوعيد؛ فتلك الأصنام التي عبَدَها المشركون، يُقذفون معها في النّار؛ ليَرَوا مصيرَ معبوداتهم، فتزداد حسرتهُم، كما أنَّ الحجارة يكون فيها الكبريت أشدَّ ما يكون اشتعالًا، فتزيد النّار لهيبًا واشتعالًا، كما فيه دلالةٌ على فَرْطِ شِدَّة النّار وعظيمِ حَرِّها؛ إذِ الأحجارُ بطبعِها مِمّا يُطفئُ النّيرانَ، ويَحبِسُ لهيبَها، فإذا اشتعلت بها النّارُ بَدَلَ أن تنطفئ؛ فقد دَلَّ ذلك على أنَّها نارٌ فائقةُ الوصف، بالغةُ الحَدِّ في السَّعير والاشتعال، كما أنَّها ذُكِرَت؛ ليُعلم أنَّ نارًا تُحرِقُ الحجارة، أولى وأقدرُ على إحراقِ البَشَرِ، مع الإيماء إلى أنَّ النّاس الذين دخلوا النّار هم أصحابُ القلوب التي هي كالحجارةِ في عدم الاستجابة لأمرِ الله تعالى، ففي قرْن ﴿ٱلنَّاسُ﴾ بـ(الحجارة) تصويرٌ مُرعِبٌ لعذابٍ يجمعُ بين الإحراق والإهانة، فيُساوى الإنسان - المكرَّم في أصل خَلقِه - بالحجر، فيُطرَح كما يُطرح، فاجتمَع في هذا الجمع العذابُ الحِسّيُّ والمعنَويُّ، وهو وعيدٌ يَهُزُّ القلوبَ، ويَدفَعُ النُّفوسَ إلى طَلَبِ النَّجاة[2].

(1) صبحي المليجي، من أسرار النّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 2156.

(2) العزّ بن عبد السّلام، تفسير العزّ بن عبد السّلام: 2/ 290، والماوردي، النّكت والعيون: 6/ 44، وصبحي المليجي، من أسرار النّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 2156، والقونوي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 19/ 162.

بلاغةُ الاستعارةِ في حرف الاستعلاء:

ملائكةُ العذابِ أصحابُ المُكنةِ في التَّصرُّفِ والتَّسلُّط على مَن في النّار

جاء التَّعبيرُ في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ بحرف الجَرِّ (على)، وهو حرفٌ يُفيد الاستعلاءَ المكانيَّ، والمقصودُ به هُنا التَّمكُّنُ والتَّسَلُّطُ؛ إشارةً إلى أنَّ أولئك الملائكةَ موكَّلون بالنّار، مُتَسَلِّطون عليها، نافذو الأمرِ في تصريفِ أحوال أهلِها بأمر الله تعالى، وقد صوِّرت هذه العلاقةُ بأسلوب الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبَعيَّة؛ إذ شُبِّهت هيئةُ الملائكة القائمين على النّار بهيئة الفارس المُستعلي على دابَّته، المُتحكِّم في سيرِها وتوجيهِها، فكان في هذا التَّصوير إيحاءٌ بقوَّة السَّيطرة، والولايةِ والقيام، والاستيلاءِ والغلبةِ على ما فيها مِن الأمور، وكأنَّ النّار في قبضتِهم مُنقادةٌ لا تخرجُ عن أمرِهم[1].

نُكتة تنكير لفظ ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ﴾:

نُكِّر المُسنَد إليه ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ﴾، في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ﴾؛ للتَّفخيم والتَّعظيم؛ ليقعَ في النَّفسِ أنَّهم ملائكةٌ عِظامٌ لا يُشبِهُهم غَيرُهم في الوصف، ولا يَرقى إلى مرتبتِهم أحَدٌ[2].

فائدةُ وصفِ الملائكةِ بالغِلظة والشِّدَّة:

دَفْعُ الأوهامِ بِذِكرِ أوصافٍ تُبيِّن حقائقَ المقام

لمّا كان قد يُتوهَّمُ مِن إطلاقِ لفظ ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ﴾، في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ أن يكون ذلك موجبًا للسُّكون والاطمئنان؛ لِما عَهِد النّاسُ مِن صفاتهم في مواضعِ الرَّحمة، ومظاهرِ اللّين والشَّفَقَة، وطبيعَتِهم النّورانيَّة، وخضوعِهم الدّائم لأمر الله تَعَبُّدًا وطاعَةً، فاقتضَت بلاغةُ التَّنزيلِ أن يُزال هذا الإيهام، ويُدفعَ هذا الظَّنُّ، بوصفِ المُسند إليه بأوصافٍ تَقطَعُ الرَّجاء، وتُفزع القلوب، فجاء النَّظمُ بقوله: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾، فلو اقتصر على قوله: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ﴾؛ لَما أفادَ ما أفادَهُ هذا الوَصفُ مِن الرُّعب

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 366، والهرري، حدائق الرّوح والرّيحان: 29/ 473.
(2) صبحي المليجي، من أسرار النّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 2158.

والرَّهبة، الذي يَكشِفُ حقيقَةَ أولئك الحُرّاسِ، ويُنَزِّلُهم في القلب مَنزِلَةَ المُخيفِ المُرهِب؛ تنبيهًا على أنَّهم ليسوا موضعَ أمَلٍ في شفاعةٍ، ولا مَحَلَّ رجاءٍ في رَحمَةٍ، وإنَّما هُم جُنودٌ غِلاظٌ شِدادٌ، وقد كان هذا الوصفُ لازِمًا لإتمام التَّصوير، وتحقيقِ غاية التَّخويف[1].

وفيه تلميحٌ إلى صِفَةِ الرَّحمةِ في قَلبِ النَّبيِّ ﷺ، المدفوعِ عنه هذا الوصف، فمَن عَصاهُ في الدُّنيا زاهِدًا في رحمتِه؛ فلْيَلقَ غِلظةَ الملائكة، وفي إطلاقِ الوصف ما يُفيدُ العُمومَ في الشِّدَّة والغِلْظة، فَهُم غِلاظٌ في أبدانهم، وقلوبهم، وأفعالهم، وغِلَظُهم ليس مخصوصًا بوجهٍ دون آخر، بل هو شامِلٌ لكلِّ معنًى يرِدُ تحت مادَّة الغِلَظ، فلا يُنتظر منهم رأفةٌ، ولا يُرتجى عندهم لينٌ؛ فَهُم غِلاظٌ في الهيئة، شِدادٌ في البطش، وفي هذا الوصف إرهابٌ وإفزاعٌ، وقطعٌ لطريق الأمل والتَّخفيف[2].

نُكتةُ إتباعِ وصْفِ الغِلظة بوصفِ الشِّدَّة:

ثنَّى النَّظمُ الكريمُ وصفَ الملائكةِ بصفة الشِّدَّة، في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾، التي سيقت لزيادة التَّيئيسِ والتَّخويف؛ إذ وُصِفوا بـ(الشِّداد)، وهو جمعٌ يَدُلُّ على شِدَّة القوَّة والبأسِ في الأبدانِ والأفعالِ، فكان في ذلك قطعٌ لِما قد يَعتري النُّفوسَ مِن وهمِ الفرار أو التَّغلُّب، أو ما يتسلَّلُ إلى الخيال مِن احتمال الخروج مِن أيديهم، فإنَّهم مُستحكِمون في قبضتهم، لا يُغالبون، ولا يُدافعون[3].

دَفعُ تَوَهُّم الإفلاتِ مِن العذاب أو الهُروبِ مِن العقاب

بلاغة الكناية في الوصف:

في وصف الملائكة بقوله تعالى: ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾، كنايةٌ بليغةٌ عن كمال قوَّتهم في التَّنفيذ، وسُرعة امتثالهم لأوامر الله دون

بيانُ كمال القوَّةِ في التَّنفيذ، وسُرعةِ الامتثال لأوامر الجليل

(1) ابن عطيّة الأندلسي، المحرّر الوجيز: 5/ 333، وأبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 213.
(2) ابن عطيّة الأندلسي، المحرّر الوجيز: 5/ 333، وصبحي المليجي، من أسرار النّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 2158.
(3) الخطيب، التّفسير القرآني: 14/ 1032، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 366.

إمهالٍ أو تردُّدٍ، فهي تَدُلُّ على صفاتٍ عظيمةٍ مِن الطّاعة والقوَّة والانقياد، فالكناية هنا توحي بكمال الطّاعة، وشِدَّة البأس، وتمام الخضوعِ لِعَظَمَة الجَبّار ﷻ، على وجهٍ يُرهِبُ السّامع، ويملأ قَلبَه خضوعًا وخوفًا[1].

دلالةُ النَّعت بجملة ﴿لَّا يَعۡصُونَ﴾:

طاعةُ الله تعالى وصـفٌ ثـابـتٌ للغِلاظ الشِّداد

قوله تعالى: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ﴾ نعتٌ للملائكة، فَهُم يَتَّصِفون بِعَدَم عصيان الله تعالى، ولأنَّ في هذه الجُملة ثناءً عليهم، وإشادةً بكمالِ طاعتِهم وخضوعِهم لأمر الله؛ لِما يقتضيه الوصفان الأوَّلان مِن كراهيَة النُّفوس لهم، فجاء هذا الثَّناءُ كاشفًا عن حقيقتهم، ومُبرِّرًا لوصفِهِم، فَهُم وإن اشتدّوا، فإنَّما اشتدّوا بأمرٍ، وغَلَظوا بِحُكمٍ، فكان في هذا الفصل بيانٌ صريحٌ بأنَّ ما يُباشرونه مِن التَّعذيب والبطش إنَّما هو بأمرٍ مِن الله، لا يملكون فيه تَصَرُّفًا ولا رأيًا[2].

دلالةُ نفيِ العصيانِ عن الملائكةِ الكرام:

إظـهـارُ كـمـالِ الخضوعِ وتمامِ الامتثال

نفيُ العصيان عن الملائكة ﷺ يَدُلُّ على خلوِّهم مِن صفات المُعاندة والتَّكبُّر، فهُم لا يعصون الله، ولا يتعالَون على طاعته، كما قال تعالى: ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأعراف: 206]؛ مِمّا يُبرز كمالَ خضوعهم، وتمامَ امتثالهم لأوامر الله ﷻ[3].

دلالة التَّعبير بصيغة المُضارع:

استمرار الطّاعة وتجدُّد الامتثال وصـفٌ يـضـادُّ وصـف أصحاب النّار

جاء التَّعبير بالأفعال المُضارعة، في قوله تعالى: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾؛ للدَّلالة على استمرار طاعتهم وتَجَدُّد امتثالهم، فَهُم في كُلِّ وقتٍ وحينٍ على استعدادٍ تامٍّ لتنفيذ ما يُؤمَرون به؛ لا يتراخَون، ولا يتوانَون، فالمضارع في ﴿يَعۡصُونَ﴾ و﴿وَيَفۡعَلُونَ﴾

(1) دروزة، التّفسير الحديث: 8/ 536.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 366.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 351.

و﴿يُؤْمَرُونَ﴾، يُفيد الحال والاستقبال، ويدلُّ على أنَّهم دائمون على الطّاعة، مُتَّصِلون بها، لا يطرأ عليهم فتورٌ ولا مخالفة[1].

بلاغة التَّعبير باسم الجلالة:

تعظيمُ المقام، وتربيةُ المهابةِ في النُّفوس

آثرَ النَّظمُ الكريمُ استعمالَ اسم الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾، في قوله تعالى: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ﴾؛ لِما فيه مِن تعظيمٍ للمقام، وتربيةٍ للمهابة في النُّفوس؛ إذ دلَّ على أنَّ هؤلاء الملائكة قائمون على النّار بأمر الله وتكليفٍ منه جلَّ شأنه، فهُم لا يملكون لأنفسهم حولًا ولا قوَّة، ولا يُخالفون له أمرًا[2].

بلاغة السَّلب والإيجاب:

توكيدُ الطّاعة بفعلِ الأوامر كمالٌ في الانقياد وتمامٌ في الاستجابة

في قولِه تعالى: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ فنُّ السَّلْبِ والإيجابِ، وهو فنٌّ عجيبٌ، في بناءِ الكلام على نفي الشَّيء مِن جهةٍ وإيجابِه مِن جهةٍ أخرى، فقَدْ سلَبَ ﷻ عن هؤلاءِ الموصوفينَ العِصيانَ، وأوجَبَ لهمُ الطّاعةَ، وهذا الأسلوبُ يُبرزُ كمالَ انقيادِهم لأوامرِه، وهذا الجمعُ بين النَّفي والإثبات يُعطي المعنى قوَّةً وتوكيدًا، ويُظهِر عَظَمَة هؤلاء الموصوفين في امتثالِهم لأمر الله تعالى[3].

نُكتة التَّعبير بالفعل الماضي:

الإشارةُ إلى دوام الامتثال وتكرُّرِه ونَيلِ شرفِ العصمة على الدَّوام

جاء التَّعبيرُ بالفعل الماضي ﴿أَمَرَهُمۡ﴾، في قوله تعالى: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ﴾، مع أنَّ نفي العصيان جاء بصيغة المُضارع ﴿لَّا يَعۡصُونَ﴾؛ تنبيهًا على أنَّ الأمر قد وقَعَ، وأنَّ العصيان لا يكون إلّا بعد صدور الأمر، فجاء النَّفيُ بصيغة الاستقبال؛ لأنَّ الطّاعة تَتَجدَّد منهم، كُلَّما تَجدَّد الأمر، وفي ذلك إشارةٌ إلى دوام الامتثال وتكرُّره، كما هو الحالُ في تعذيبِ الأشقياء، فإنَّه يتكرَّرُ على أيديهم مَرَّةً

(1) القاسمي، محاسن التّأويل: 9/ 277، والقونوي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 19/ 163.
(2) صبحي المليجي، من أسرار النّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 2159.
(3) الدّرويش، إعراب القرآن: 10/ 139.

بعد مَرَّةٍ، وقد استدَلَّ بعضُ الأئِمَّة بهذه الآية على عِصمة الملائكة أجمعين؛ إذ نفيُ العصيان عنهم جاء مطلقًا في كُلِّ ما يُؤمَرونَ به، في كُلِّ زمانٍ ومكان[1].

بلاغةُ الإطناب بالعطف:

بيانُ تعدُّد الخصال العِظام للملائكة الكرام

اختلف العلماءُ في المعنى الذي تُفيده جُملة: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، والسَّببُ في هذا الخلاف يعود إلى العطف الذي يقتضي في الأصل المُغايرة بَيْنَ الجُملتين؛ فذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الجُملة الثّانية تكرارٌ للأولى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾، لكنَّه تكرارٌ يُرادُ به التَّوكيد[2]، بينما رأى بعضُهم أنَّ بينهما فَرْقًا بيِّنًا؛ فالأولى تَدُلُّ على قبولهم للأوامر وعدم استكبارِهم عنها، أمّا الثّانية؛ فبيانٌ لامتثالِهم الفعليِّ دون تثاقُلٍ أو توانٍ[3]، أو أنَّ الجُملة الأولى؛ لبيان استمرار إتيانهم بأوامره، والثّانية؛ لأنَّهم لا يفعلون شيئًا ما لم يُؤمَروا به[4]، وعدَّ الآلوسيُّ الجملة الأولى لنفي المعاندة والتَّمرُّد والاستعلاء؛ لِما فيه مِن بيانٍ لِتَعَدُّد خِصالِ هؤلاء الملائكة العظام، والثّانية لإثبات فِطنتهم ونفي الكسل عنهم في أداء المَهامِّ[5]، والأظهَرُ الجمعُ بَيْنَ كُلِّ هذه الآراء، فالجُملة توكيدٌ لما يُفهَمُ ضِمْنًا مِن نفي العصيان، جاء لإطالة الثَّناء وتعظيم الصّورة البديعة لطاعتهم، فالتَّصريحُ بالفعل أوضَحُ مِن نفي الضِدِّ، وجاء العطفُ مع اختلافِ الدَّلالة للتَّنويه بعظمة امتثالِهم، بل يحتملُ أن يكونَ نفيُ العصيان مُتعلِّقًا بأعمالِهم الخاصَّة، أمّا فعلُ ما يُؤمَرونَ به؛ فمُرتبطٌ بما كُلِّفوا به من شؤون النّارِ وتعذيب العُصاة[6].

(1) الهرري، حدائق الرّوح والرّيحان: 29/ 474.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4/ 253.
(3) الزّمخشري، الكشّاف: 4/ 569، والقونوي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 19/ 163.
(4) القاسمي، محاسن التّأويل: 9/ 277.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 351.
(6) الأنصاري، فتح الرحمن، ص: 573، 574، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 366.

نكتةُ استعمالِ حرف ﴿مَا﴾:

الإلماحُ إلى استعداد الملائكة للقيام بالتَّكاليف على أيِّ وجهٍ كان

استعمل النَّظمُ الكريمُ ﴿مَا﴾، في قوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾؛ للإلماح إلى استعدادِهم للقيام بالتَّكاليف على أيِّ وجهٍ ورَدَ الأمرُ، وكيفما وقعَ؛ تعظيمًا لأمر الآمرِ ﷻ، فَهُم يُؤَدّونَ أوامرَه في أوانِها دون تأخيرٍ أو توانٍ، فلا يُرجئون ما أُمِروا به، وهم قادرون على إنفاذِها دون عَجزٍ أو ضعفٍ، كائنًا ما كان مضمونُها، وفي ذلك أبلغُ الثَّناء على الملائكة الأطهار[1].

نكتةُ بناءِ فِعل ﴿يُؤْمَرُونَ﴾ للمفعول:

لا تَرَدُّد في تنفيذ الأوامر عند العِلم بصفاتِ الآمر

بُنيَ فعل ﴿يُؤْمَرُونَ﴾ للمَفعول، في قوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾؛ ليدلَّ على كمال انقيادهم وسُرعةِ امتثالِهم، لِما استقرَّ في قلوبهم من يقينٍ جازمٍ، وعِلم راسخٍ، بأنَّ كُلَّ ما يُكلَّفون به من شِدَّةٍ وغِلظَةٍ تُجاهَ أهلِ النّار، إنَّما هو من عند الحَقِّ سُبحانه، الحكيم العدل، فلا يَتَرَدَّدون، ولا يَتثاقلون، بل يُنفِّذون الأمرَ مُطمَئِنّين إلى مصدرِه، مُستسلمين لجلال الله ﷻ[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الفعل والعمل:

العملُ فِعلٌ صادر مِن حيوان بقصدٍ، والفِعلُ أعمُّ منه

الفعلُ كونُ الشَّيء مُؤثِّرًا في غيره[3]، ولَفظُ الفِعلِ أعمُّ من معنى سائر أخواته، نحو: العمل، والصُّنع، والإبداع، والإحداث، والخَلق والكسب[4]، أمّا العمل؛ فهو كلُّ فعلٍ صادر من الحيوان بقصدٍ، فالعملُ لا يُقال إلّا لِما كان مِن الحيوان دون ما كان مِن الجماد، ولِما كان بقصدٍ وعِلم دون ما لم يكن عن قصدٍ وعلمٍ[5]، فهو أخصُّ من الفعل[6].

---

(1) ابن كثير، تفسير ابن كثير: 8/ 168، وعبد الملك قاسم، عقد الجمان: 1/ 1208، وصبحي المليجي، من أسرار النّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 2159.

(2) صبحي المليجي، من أسرار النّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 2159.

(3) الجرجاني، التّعريفات، ص: 168.

(4) الجرجاني، التّعريفات، ص: 168.

(5) المناوي، التَّوقيف على مُهمّات التعاريف، ص: 247، والرّاغب، المفردات: (عمل).

(6) الرّاغب، المُفردات، والسَّمين الحلبي، عُمدة الحُفّاظ: (عمل).

والعملُ لا يُقال إلّا ما كان عن فِكْرٍ ورويَّة، ولهذا قُرِنَ بالعلم، فقيل: عِلْمٌ وعَمَلٌ، حتَّى قال بعض الأدباء: قُلِبَ لَفْظُ العمل عن لفظ العلم؛ تنبيهًا أنَّه من مقتضاه[1].

فالفعل لفظٌ عامٌّ يُقال لِما كان بإجادةٍ وبدونها، ولِما كان بعلمٍ أو غيرِ عِلمٍ، وقَصْدٍ أو غير قَصْدٍ، ولِما كان مِن الإنسان والحيوان والجماد[2]، والعملُ أخصُّ منه.

(1) تفسير الراغب الأصفهاني: 1/ 119.

(2) أبو هلال العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 322.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والستون،
سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 62 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-640-02-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 62 : المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-640-02-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5378070 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"